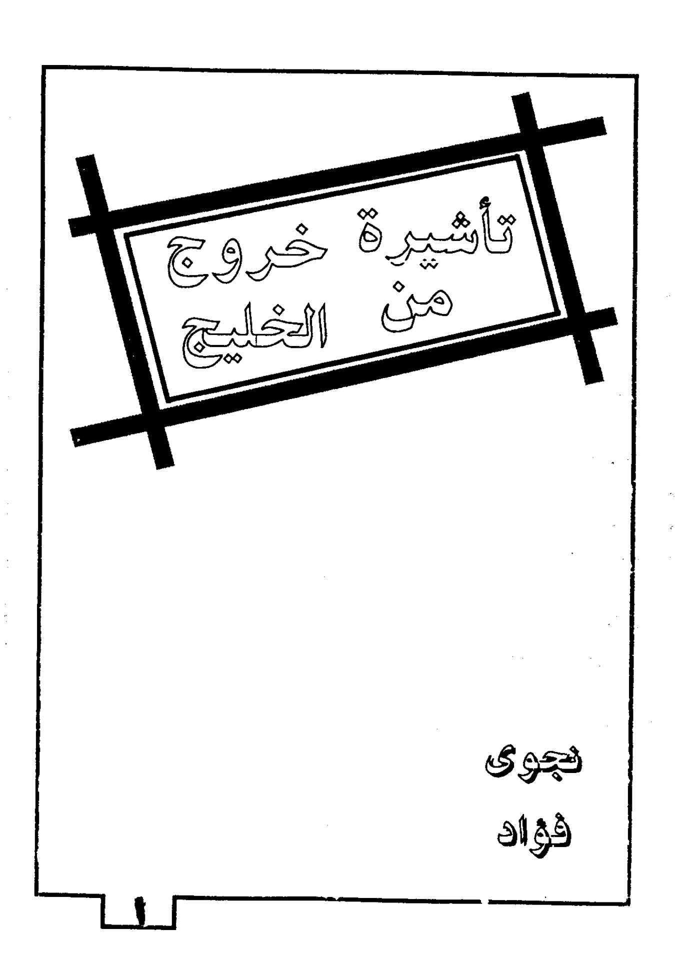

تأشيرة خروج
من الخليج
نجوى
فؤاد

* تأشيرة خروج من الخليج.
* نجوي فؤاد.
* تصميم الغلاف : محمد شحم.
* الطبعة الأولى.
* الناشر مصر العربية للنشر والتوزيع.
١٩ شارع إسلام - حمامات القبة - القاهرة
ص.ب : ٥٧٤٠ - هليوبوليس
الرمز البريدى : ١١٧٧١
هاتف : ٢٥٦٢٢٦٨
* الترقيم الدولي : 6 - 20 - 5471 - 977
* رقم الإيداع : ١٥١١٦ / ٩٧ .

تأشيرة خروج من الخليج

إهـــداء

[*** إلى الأصدقاء الذين مازالوا هناك... في دولة الإمـارات... ذكرى أيام غالية... عانينا فيها... معاً، حلمنا بالكمـال، وسـعينا لنزرع الحب والنماء في الأرض البكر الطيبة.

[*** وإلى الذين تقبلوا كلماتي تلك، كما هي... فلم يقصفوا لـي قلماً، ولم يضعفوا لي همَّة... فكنت ذات يوم... نسيجاً منسجماً في بنائهم..

نجوى

فهرس

رقم الصفحة

من مشاهد العبث

من مشاهد الجنون

رقم الصفحة

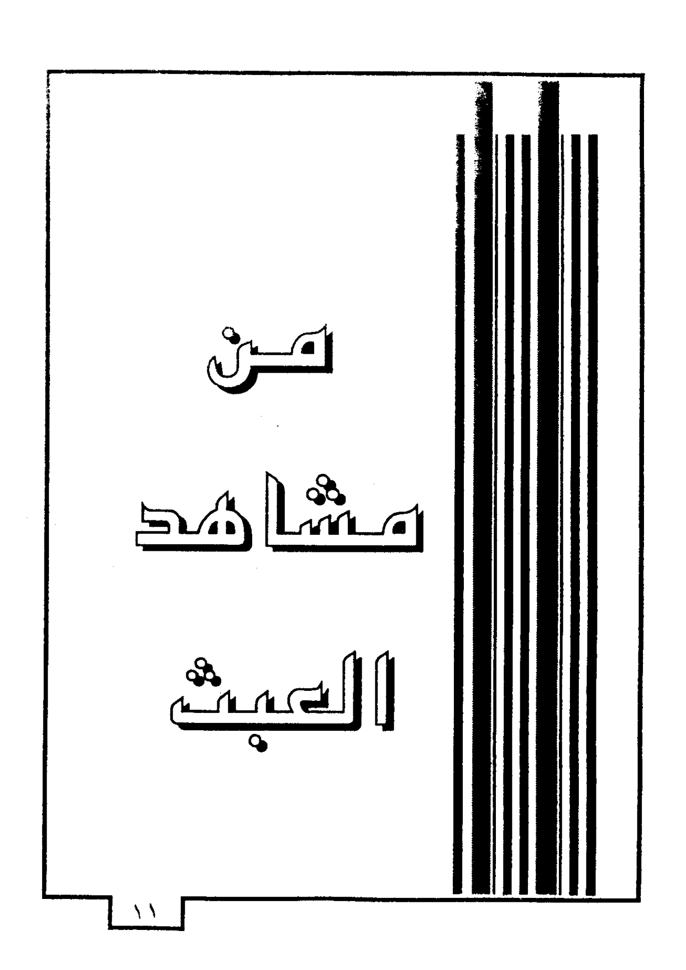
من مشاهد الدهشة

رقم الصفحة

من مشاهد الحنين والاسى

ملحوظــة :

(نشرت معظم قصص هذه المجموعة فى جريدة الفجر فى أبو ظبى فى الأعوام من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٤).


من
مشاهد
البعث

دعوة

وجهوا إليه الدعوة لزيارة ودية .. استجاب وتأهب . ارتدى أجمل ثيابه وتعطر.

تفاءل خيراً، إذ يلتقى لأول مرة مع الذين « يراوده » حلم مصافحتهم.

استقل سيارته المتواضعة، واتجه نحو بابهم المنيع . اصطدم بحاجز كبير ، وفوجئ بحركة تفتيش دقيقة لكل ما تطوله أيدي الحراس .. سيارته وأدواته ، حقيبته وأوراقه ، ملابسه وأذناه وشعره !!

تساءل في نفسه عن سر هذه الحملة المشينة !! ولكنه استمر في سيره .. دخل من الباب الكبير، واتجه بسيارته للأمام .. وبعد خطوات اصطدم بحاجز آخر. توقف مندهشا فأنزلوه من السيارة، وفتشوه وقلبوه، ثم أدخلوه بدون السيارة !!

خارت قواه وانسحقت روحه، وتمنى لو انفرجت الأرض لتعيده من حيث أتى ، أو يتراجع النهار فيهب من حلمه المفزع!!

ولكنه لا يحلم .. فهاهم أمام الباب الثالث يطلبون منه أن يخلع نعليه ، فقد اقترب من بابهم!! هنا تشبث بحذائه ، وتصاعدت فى داخله كل شياطين التحدى . أصر على الرفض ، وأصروا هم على الطاعة !! ارتفع صوته فعاجلوه بصفعة على وجهه ألجمت لسانه وهم يأمرونه بأن يراعى حرمة المكان !!

لم يعد يهمه المكان ولا الزمان ولا الأرض كلها، وأخذ يطيح فيهم بلا وعى ، بينما يناوبون عليه الركل والصفعات !!

وعندما أفاق لنفسه « وجدهم » أمامه .. يأخذونه بالأحضان ، ويعتذرون بأنها إجراءات أمن ، كان لابد ان يلتزم بها !!

١٩٨٣

تأشيرة دخول

توجهت إلى أحد المباني الحكومية ، لتخليص أوراق دخول طفلها إلى البلاد. وبعد ساعات أدخلوها مكتب المدير العام. تراقصت قدماها وهى تتساءل ما حاجتها إلى مقابلة المدير العام، وقد استوفت كل الأوراق والتوقيعات!! وما عليه سوى التوقيع النهائي ؟!

كادت الارض تميد بها وهو يتفحصها مكفهر الوجه بعينين حمراوين يتطاير منهما الشرر ، ولا يكلف نفسه رد السلام !!

تساءلت فى نفسها أى جريمة ارتكبت؟ ولماذا تقف أمامه كالتلميذ المذنب فى مواجهة ناظر المدرسة ؟!

قطع الصمت بسؤال حاد :

– لماذا تريدين إحضار ابنك هنا ؟!

صدمها السؤال واستفزها :

– كأي أم أريد ابنى !

– ولماذا تركته يغادر من قبل ؟!

– لقد مرض هنا فأرسلته إلى جدته بالقاهرة لترعاه ، حيث اننى أعمل ليل نهار !

أحست بالكارثة تطبق على رأسها، ولم تستطع الرجوع فيما قالته !

– وما دام قد مرض وأنت تعملين ليل نهار : فلماذا تريدين إحضاره ؟ ومن سيرعاه ؟!

– لقد اتفقت مع إحدى الجارات على رعايته أثناء غيابى ، وهو الآن بصحة جيدة .

– وهل تضمنين رعاية جارتك له كما يجب ؟!

– هى صديقتى ومثل أختى .

– وماذا يضمن لنا أنها لن تغدر بك ؟ ألا يحدث ذلك (بينكم) كثيرا ؟!

دهشت لتدخله في أمور شخصية بشكل سافر فأجابت ببرود:

– إذا غدرت بى فأنا التي أتحمل النتيجة !

صرخ في وجهها فجأة وكأنه بركان :

– نحن الذين نتحمل النتائج ! أنتم تنجبون وترمون لنا أولادكم ، ونحن ننفق على علاجهم وتعليمهم وطعامهم وشرابهم ، ونحن نتحمل مصائبكم في النهاية .

اندفعت الكلمات كالسهام بلا توقف، بينما عيناه تتوحشان:

– الواحد منكم يأتى ، وما هى إلا شهور قليلة، ويكون قد أحضر كل أهله !! مادمت تريدين ابنك ، فلماذا لا تذهبين إليه ؟ هذه الحريم لا تختشى (فتبهدل) نفسها من أجل حفنة (دراهم) !!

لم تنتظر لتسمع منه أكثر، فقد انقضت عليه فى ثانية ، وانقلبت الدنيا ولم تقعد إلا على الطائرة المغادرة .

١٩٨٣

المالك

فوجئ بزيارة غير متوقعة من مندوب مالك البيت، وفى يده ورقة تحدد قيمة الإيجار الجديد .

نظر فى دهشة إلى مندوب المالك مستفسرا عن سبب هذه الزيادة الكبيرة المفاجئة ، وساله هل هناك زيادة فى الأجور؟ أو تحسينات في المبنى ؟!

أجابه بالنفى .

ساله : ولكنه سبق وان رفع الإيجار مرتين !! رد المندوب بأنه قرار « الأرباب » - صاحب البيت رئيسه فى العمل - ولا دخل له فيه !

ذهب صاحبنا لمقابلة المالك فما كان إلا أن خرج مطرودا بعد جدال طويل !

لجأ بعد ذلك لجهات كثيرة، بلا جدوى ، فالمالك حر فيما يملك وليس لجهة حق التدخل في تحديد الإيجار!

لم يستطع بالطبع أن يدبر المبلغ المطلوب فدخله قليل ومصاريف الأولاد كثيرة ، وأعباء المعيشة اكبر من احتماله ، وسلفة البنك لا تكفى أو تكفى بالكاد الإيجار السنوى للبيت !!

ظل على حيرته ثلاثة ايام كاملة ، وفى نهايتها فوجئ بالمندوب آتيا لقطع التيار الكهربائى عن البيت، ولم يستمع رغم صراخ الأولاد ، و رجاء الساكن وزوجته إمهالهم للبحث عن مسكن !!

بعد قليل جاء المالك، ومعه ثلاثة من تابعيه ، ولم تفلح توسلات الرجل وتعهداته ، ولا صياح الأولاد وبكاؤهم، وفى دقائق قليلة كان أثاث البيت كله فى الطريق !!

١٩٨١

مدرس حكومي

حين اتسعت مساحة الحلم ، سعى بخطى حثيثة لوضع افضل لا يتعرض فيه للفصل أو تخفيض المرتب . ترك وظيفته في القطاع الخاص ، بعد أن نجح في (امتحانات) وزارة التربية ، ورأى اسمه في كشوف المدرسين الجدد المعينين بعقود داخلية .

كان عليه ان يستأجر شقة ويؤثثها لتكون بيت الزوجية . وخلال ايام قليلة كان قد ترك مكانه مع زملاء السكن واستدان مبلغا معقولا من المال واثث منزلاً متواضعاً
واستقبل عروسه .

تحمّل أيام التقشف في انتظار(راتبه) الذى وعدت به وزارة التربية ، وتحملّت معه عروسه شظف العيش في بلد النفط ، فالحلم بالآتى أكبر واجمل ..

طالت شهور العطش والجوع والاستدانة ، ولكن الحلم بالمستقبل المشرق والبيت السعيد، بعد سنوات العمل والعودة من الغربة طغى على لحظات الألم والضيق .

تساءل بعد ذلك مرات لتأخر إجراءات (الاقامة) وسمع وعودا كثيرة بسرعة انهاء الاجراءات، وصرف المرتبات ولكن وبسرعة اكبر .. كان قد صدر قرار تفتيش - فصل عن العمل - لكل المدرسين المعينين مؤخرا - وهو من بينهم - بهدف التقشف .

١٩٨٤

غرفة الإعدام

بين حين وأخر .. يأتى لأحدهم أمر بالتوجه الى غرفة ما . فى الغرفة – كما يقولون – يجلس (عزرائيل) على مكتبه الفخم ، وبين يديه القرارات . وما إن يصل الموظف أو الموظفة الى الغرفة ، حتى يتم تسليمه نص الاستقالة .

يتساءل : لكنني لم أطلب الاستقالة !!

يأتى الجواب : ولكن عليك ان تكتبها !!

فى ثوان قليلة يملأ خطاب الاستقالة دون ان يدرى لماذا أو كيف ؟ ويتحامل على نفسه إلى باب الخروج .

عند باب الخروج يقف الزملاء الباقون ، يتلقفون زميلهم الخارج من غرفة الإعدام ، ليحملوه إلى غرفة الإسعاف .. هذه الغرفة أعدت خصيصا للخارجين من غرفة الاعدام .

١٩٨٤

سوء سلوك

حينما غادرت بلدها متجهة الى هناك .. كانت تعرف طريقها جيداً ، فهي موظفة علاقات عامة ناجحة ومستقيمة ، وعقد العمل يشمل الراتب والسكن وبدل الانتقال ، وليست لديها مشكلة سوى وحيدها الذى تبقى لها بعد وفاة زوجها ، والذى قررت اصطحابه معها والحاقه بمدرسة هناك .

تسلمت عملها الجديد فور حضورها ، ورتبت امورها واغلقت عليها بابها ، وظلت تعمل بدأب وصبر لعدة شهور ، ولكنها فى النهاية لم تعد تحتمل سخافات صاحب العمل ، التي فاقت كل الحدود .

لجأت لإحدى الصديقات ، فاستضافتها لعدة أيام بعد أن تركت السكن والوظيفة ، وساعدتها في الحصول على تنازل صاحب العمل عن (الإقامة) والحصول على عمل جديد .

فى الشركة الثانية تعرضت لما تعرضت له فى الشركة الأولى ، من مضايقات صاحب العمل ، مضافا اليها أصحابه ومعارفه !! لم تحتمل كثيرا ، وكان ما كان فى الشركة الاولى .

طالت رحلة البحث والتنقل بين الشركات حتى قرر أحد الأجهزة تسفيرها لسوء السلوك .

١٩٨١

رصيف السيارات

وقفت الأم طويلا مع أولادها الثلاثة ، على رصيف الشارع العريض ، انتظارا لتاكسي يوصلها إلى حيث تريد، ثارت أعصابها خاصة وان الأطفال كثيرو الحركة ، فهذا يقفز وذاك يصرخ ، وثالث يحاول عبور الشارع امام السيارات .

تحاول الأم الإمساك بأيدى الأطفال الثلاثة معا فتعجز، فتمسك بيد أصغرهم وتطلب من اكبرهم ان يمسك بيد الأصغر منه ، الذى يمسك بيدها الأخرى .

تفشل الحيلة حين يجرى أحدهم نحو الشارع فتصرخ فيه ، فيستقر فى مكانه على الرصيف .. ثم تفاجأ بسيارة تأتى مسرعة نحوها على الرصيف ، فتقفز هى وأولادها الى الشارع .. فتفاجأ بسيارات تتسابق فى الشارع كالريح ، وتتنافس على السرعة ، فتقفز الى الرصيف بسرعة وهى تجذب أيدى الاطفال .

فى دقائق معدودة كان الرصيف قد تحول إلى شارع ، وأصبحت سيارات الرصيف تنافس سيارات الشارع عددا وسرعة !! .. أما هى فقد عجزت تماما عن أن تقف أو حتى تعبر الشارع ، بعد أن أصيب الأطفال بالذعر وأخذوا يصرخون !!

فوجئ الناس بالأم وهى تصيح فى هيستيريا، ثم تقفز إلى منتصف الشارع أمام السيارات الطائرة ..!!

وتوقف الجميع وأخرجوا رؤوسهم من السيارات فى دهشة ليروا مشهد المرأة المجنونة .. بينما عادت الى الرصيف وأمسكت أيدى الاطفال وعبرت فى هدوء !!

١٩٨١

الكلب

يتعثر التاكسى وهو يقطع بى الشارع الرئيسى الطويل ، متخطيا عشرات الحفر والمطبات، ومسابقا عشرات السيارات التى تتزاحم للحاق ببداية يوم عمل شاق ، غير آمن .

حادثة أوحادثتان على الطريق، وخناقات كلامية بين العابرين المهرولين، والسائقين المسرعين من مختلف الجنسيات !

الشاحنات الكبيرة تقتحم الطريق لتتصدر المسيرة ، فتدخل فى سباق سرعة مع سيارات « الشيفروليه » و« المرسيدس » و« الجاجوار » الطائرة التى يقودها مسئولون يريدون ان يسبقوا الزمن ، ويتخطوا العابرين والعابرات الذين تبعثرت خطواتهم على الطريق !

وسط الزحام يطل وجه كلب « كانيش » من نافذة سيارة « سبور » فخمة ، ويتحدى برأسه الأبيض كل من يحاول أن يطل برأسه أو يتلفت حوله !

بجانب الكلب يجلس قائد السيارة الأوروبى الذى يكاد أن يكون المنافس الوحيد للكلب فى الشارع كله .. فى بياض بشرته واستقرار نظراته !!

قائد السيارة يقود فى تمهل ، بينما ينظر الكلب في ثقة إلى المسرعين، وكأنه يتابع لعبة سباق شيقة .

نظرت إلى الكلب فى احتقار .. فأخرج لسانه ... ، وبدا لى أنه يبتسم ساخرا !!

١٩٨١

فنانة

التقيا صدفة ، فدار بينهما حوار قصير، حفر فى ذهنه بحروف من نار.. فهو لم يكن يتصور ابدا أن من تحادثه خادمة لدى أولئك الناس !!

تساءل فى نفسه من أين جاءت بهذه القدرة العجيبة على تحليل أبعاد ما يرسمه وفهم ما تحتويه كل لوحة ضمها معرضه!

سألها : ماذا درست ؟!

ردت : لا شىء .. فأنا ابنة القرية . هى طفولتى وصباى ، عالمى القديم والجديد ، رغم كل ما تراه .. لم أتعلم الرسم ولم ادخل المدرسة مثل كثير من الأطفال الفقراء ، ولا علاقة لى بالكتب ، ولكن كل ما أعرفه أننى أبحث فى زمن البراءة والأمان.. أنادى أحلامى فتأتى إلىّ عبر خطوط وألوان .. أجسدها فى لوحات أخفيها عنهم فى غرفتى الخاصة بالحديقة منذ ان جئت إلى هنا، تحت سريرى تعيش ألوانى وأدواتى .. اشتريها سرا لأنهم لو علموا بالأمر لحاكمونى .. فهم لا يعرفون شيئا عن هذا الفن – وإن كانوا يعلقون فى قصورهم لوحات غالية ونادرة !

بهرته – فرجاها أن تأتى غدا ، مرة ثانية .. ليكملا الحوار. فوعدته .

وفى اليوم التالى ذهب الى معرضه ، فوجده مغلقا ، وكل لوحاته مهشمة وملقاة خارج المبنى !!

١٩٨١

رحلة

تتجمع الأسرة فى سيارتها الصغيرة ، لتقضى أجازة نهاية الأسبوع فى المدينة البعيدة الهادئة. وفى سعادة يتبادل الأطفال الحلوى فرحين بمشاهدة المدينة التى ظلوا يحلمون برؤيتها منذ جاءوا بصحبة أبيهم في العام الماضى .

تعلو أصوات الاطفال الثلاثة ، وهم يشاهدون السيارات المسجاة على جانبى الطريق الطويل ، نتيجة حوادث غامضة ، بينما تستغرق الأم فى إرضاع رابعهم ضاحكة .

تعلو أصوات الأطفال وهم يشاهدون سيارتين متشابكتين نتيجة حادث أليم ، ويتفقوا على عد جثث السيارات ، بينما يسرح الأب بفكره فى مصير أولئك الذين « قضوا » .. هنا ، بعيدا عن الوطن !

السيارات الكثيرة الملقاة على جانبى الطريق تضلل الإحصاء الذى يتسابق عليه الأطفال ، فيعجزون جميعا عن استكمال العدّ ، وينشغلون ببعض « الجمال » التى تعبر الطريق .

فى اليوم التالى قرأ الناس فى ركن مهمل من صحيفة يومية عن حادث سيارة اصطدمت بجمل على الطريق السريع .. ضحيته أسرةمكونةمن أب وأم وأربعة أطفال ، وانه قد تقرر تعويض صاحب الجمل عن الخسارة التى ألمت به !!

١٩٨٢

الفارس

حين ودّعها وعدها أن يأتيها على حصان أبيض .. في قلبه الحب الكبير، وفي جيبه المال الوفير ، ليبنيا معا عشّ السعادة الصغير، وينجبا أطفالا كثيرين. أحضر لها خريطة واشار بإصبعه الى مساحة صغيرة :

– هذا هو البلد الصغير.. في منطقة الخليج .. حيث أكون بعد ساعات ، وهناك ساعمل من أجلك ليل نهار، وسأقلل نفقاتي بقدر الإمكان حتى أحقق حلمنا..

غادر الفارس بعد ان عقد القران ، وبقيت هي وحيدة على ذكرى كلماته ، وخطاباته ، وأحلام الليل الطويلة .

وحين أتى اخوه الصغير باكيا مندفعا انتفض قلبها وتوقفت انفاسها وهي تستمع الى الخبر.. لقد اختنق زوجها في غرفة الصرف الصحي ، حيث كان يعمل هناك من أجلها !!

في الليل جاءها ضاحكا باكيا على حصان أبيض .. شاركته ضحكه وبكاءه وظلت تضحك وهي تسمعه يحكي لها كيف اختنق هو وأصحابه دون أن يجدوا أي وسيلة إنقاذ ! وكيف اتهموا بعد ذلك بقلة الخبرة وسوء التصرف !!

١٩٨١

الستار

أسدل الستار . ولكن المتفرجين ظلوا فى أماكنهم .. لا يبرحونها، وكأنهم لم يقتنعوا بالنهاية أو لم يروها حتى الآن ، بينما خرج الممثلون والمنتج والمخرج والمؤلف من الباب الخلفى !!

بعد دقائق بدأ عمال النظافة يجمعون البقايا المتناثرة هنا وهناك، وكأنهم لا يرون أولئك الجالسين على المقاعد ينتظرون المشهد التالى !!

فجأة سمعوا صوتا ، ثم أصواتا عالية ، ثم صرخات حادة خلف الخشبة !! انتظروا ان يفتح الستار عن المشهد التالى .

ولكن الستار لم يفتح ، واستمر الصراخ الحاد والأصوات العالية .

انبرى أحدهم قائلا :

– يبدو أنهم قد نسوا فتح الستار.

وافق الباقون على هذا الرأى ، وبعد أخذ ورد قام أحدهم بفتح الستار.

فوجئوا بمخرج المسرحية يطارد إحدى السيدات وفي يده سكين تلمع ، بينما هي تحاول الإفلات مذعورة !!

انقض عليها في ثانية ، وقام بذبحها أمام جمهور الصالة العريض وجرى في اتجاه الباب الخلفي !

أمام القاضي شهد المتفرجون بأنهم قد رأوا مخرج المسرحية يقوم بقتل السيدة بعد إغلاق الستار بربع الساعة ، بينما كانوا ينتظرون !

أثبت المخرج موعد انتهاء المسرحية ، وإغلاق الستار وشهد جميع الممثلين وعمال النظافة والمنتج والمؤلف ان « المتهم » قد خرج من الباب الخلفي بعد انتهاء المسرحية .. عائدا إلى بيته .

أصدر القاضي حكمه ببراءة المتهم ، وتحويل جميع المتفرجين لمستشفى الأمراض العقلية !!

١٩٨٢


من
مشاهد
الجنون

النهاية

استقل سيارته « الأوتوماتيكية » الجديدة وسارعلى غير هدى . توقف أمام احد المطاعم الفقيرة . نزل من السيارة، ودلف إلى المطعم. توجه إلى العاملين « الاجانب » يفحص بطاقاتهم بزعم انه مفتش العمل. اكتشف أن احدهم مخالف لقواعد العمل . صفعه على وجهه ثم اصطحبه معه الى السيارة وسط ذعر الآخرين .

اتجه الى الطريق الصحراوى صامتاً .

أوقف السيارة بعد مسافة وهبط منها وأمرالعامل بالنزول. امتثل العامل للأمر فنزل من السيارة وقد أمل خيرا . اتجه إليه وصفعه على وجهه ثم أمره بأن يسير أمام مقدمة السيارة. لم يفهم العامل الأسباب ، ولكنه ايضا امتثل للأمر، وسار أمام مقدمة السيارة مستسلما .

استقل سيارته « الأوتوماتيك » الفخمة ، وضغط على زر البنزين فاندفعت السيارة بسرعة جنونية تلتهم الرجل .!!

١٩٨١

سباق الأمواج

كان يظن دائما أنه قادر على فعل المستحيل .. فهو يصل الى كل ما يريد ويحقق ما يتمنى. لم يستشعر العجز ابدا، فالوسيلة دائما متوفرة طالما المال موجودا وهو أيضا ينتمى الى ما يميزه عن بقية الناس ويملؤه فخرا واعتدادا وإحساسا بالافضلية والتميز.

كان هذا الاعتداد، الذى يصل احيانا إلى حد العجرفة .. يضايق الأصدقاء الأقل منه مكانة ومالا وإن كانوا يتقربون إليه اتقاء بطشه! أما هو .. فكان يضيق أحيانا بسذاجتهم وجهلهم.

ذات يوم مروا على شاطئ فى رحلة استرخاء، فأعجبته الامواج وهى تتسابق نحو الشاطئ. أراد أن يسبقها فأقتنع الأصدقاء بقضاء ساعة مع الأمواج.

اندفعوا فى صخب وأسرعوا يخلعون (دشاديشهم) ويتسابقون إلى الأمواج.

حرص على أن يسبقهم نحو الأعماق، وحرصوا هم على أن يتركوا له فرصة الفوز حتى ينالوا رضاه ويتقوا غضبه.

عندما وصل بعيداً جداً كان قد هده التعب وخارت قواه !! أشار إليهم مستنجداً فأشاروا إليه مداعبين! صرخ واستغاث فضحكوا واستهزأوا !! صاح وهو يعلو ويهبط :

- يا كلاب يا عنزات!!.

تضاحكوا وهم يشيرون نحوه!

- يا أولاد الكلاب يا أوباش ..

.. قالها وهو يذهب إلى الأعماق، بينما علت ضحكاتهم وأعطوه ظهورهم واتجهوا نحو الشاطئ .. تغطى ضحكاتهم صرخاته !!

١٩٨١



فخامة الحاكم يوجه مساء اليوم خطابا إلى الأمة » .. أثار الخبر دهشة الجميع .. الذين لم يسعدهم الحظ أبدا بأن يخاطبهم الحاكم مباشرة عبر وسائل الاعلام ، وانما هى مجرد تصريحات تنقلها إليهم عنه وكالات الأنباء من خلال « الوسطاء » كما أدهشهم أيضا أن يصفهم الحاكم « بالأمة » – وهم من خلال وكالات الانباء ووسائل الإعلام كلها فئتـان: مواطنون ، وأجانب !

تساءل الجميع . . مواطنون ، وأجانب :

اى مصيبة فى الطريق ؟!

فى السابعة تماما ظهر الحاكم على شاشة التليفزيون يدعو إلى تضافر « الأمة » لصد العدوان الغاشم على « أرضها » !!

فى السابعة والنصف كانت « ا لأمة » – كلها – فى مكاتب الطيران ، وعلى متن الطائرات المغادرة !

١٩٨٥



نام وهو مطمئن ..

إلى أنهم يحرسون بابه ..

واستيقظ في الصباح ..

فزاد عطيتهم

فضاعفوا الحراسة .

واستيقظ في الصباح ..

وضاعف منحتهم ،

فضاعفوها مرتين ...

وحين اراد الخروج من قصره المنيف

وجد السيوف والحراب

فى انتظاره !!

١٩٨٢

حديد وأسمنت

كان دائما يلخص مبدأه فى أن الدنيا « حديد واسمنت » وماعدا ذلك هباء لا جدوى منه!!

كان رجل أعمال كبيراً ، له باع عظيم في عالم البناء .. فهو صاحب عشرات البنايات التى تطل برؤوسها فوق المدينة الهادئة ، وصاحب صوت مسموع في عالم القرارات العليا، وكان يشترى ويبيع ويكسب كثيرا من تجارة الاراضى والعقارات، ويضم مزيدا من التوكيلات التجارية ويضيف الى جواز سفره بلادا وعوالم جديدة .

كانت الدنيا فى نظره هى « الحديد » و« الاسمنت » لأنهما العنصران الاساسيان فى بناء العقارات .. تنحصر حياته كلها فيهما. أما أولاده وزوجته فهم على الهامش ، وأما الناس فهم .. إما معه أو عليه !!

فجأة انقلبت به السيارة « الاوتوماتيك » على إحدى الطرق ، ومات فى الحال ! وجدوا فى جيبه دفتر شيكات ومبلغا كبيرا من المال وجواز السفر وعقدين لاحتكار توريد الحديد حديد والأسمنت !.

١٩٨١

أحلام

راوده يوما حلم .. بأن يصير بطلا من أبطال رفع الأثقال أو الملاكمة او المصارعة .. ولكنه أدرك منذ اللحظة الأولى أنه - لعدم لياقته - لا يمكنه ان يقهر كبار الملاكمين والمصارعين وغيرهم من ابطال الرياضة اللامعين .

وتمنى ذات يوم .. أن يكون نجما من نجوم السينما أو التليفزيون .. يتصدر اسمه وسائل الإعلام وإعلانات السينما .. ولكنه ادرك أنه لا يملك الموهبة التمثيلية ، وليس بقادر على نطق الجمل كاملة واضحة لكى يلمع نجمه بين تلك النجوم !!

ولذلك حلم حلما آخر .. أن يصبح عالما فذا .. تقوم له الدنيا ولاتقعد، يبتكر النظريات ويتوصل الى الاكتشافات والاختراعات .. ولكنه أدرك أنه لا يملك عقلا علميا ، بدليل فشله فى مجال التحصيل العلمى ، وعدم اهتمامه بحضور حصص التدريب المعملى !! .

وعلى ذلك فقد حلم بأن يصبح شاعرا أو موسيقيا أو أديبا لامعا بارعا .. ولكنه أدرك بحسه الغريزى أنه لا يملك الحس الفنى ولا الموهبة اللازمة !!

بمرور الأيام أصبح واثقا جدا من أنه لن يصل إلى شيء ابدا !!
فكر وفكّر وفكّر ، وتوصل الى فكرة رائعة جدا وبسرعة فائقة
استأجر الملاكمين والمصارعين والرياضيين اللامعين ، ونجوم
السينما والتليفزيون والعلماء والرسامين والأدباء .. ولم ينس كذلك
أن يستأجر المندوبين والمحاسبين والمراجعين والمخططين ليقوموا
باستدعائهم ومحاسبتهم ومراجعتهم وعين نفسه رئيسا عليهم ..
ليصبح أخيراً النجم الأوحد .

١٩٨٤

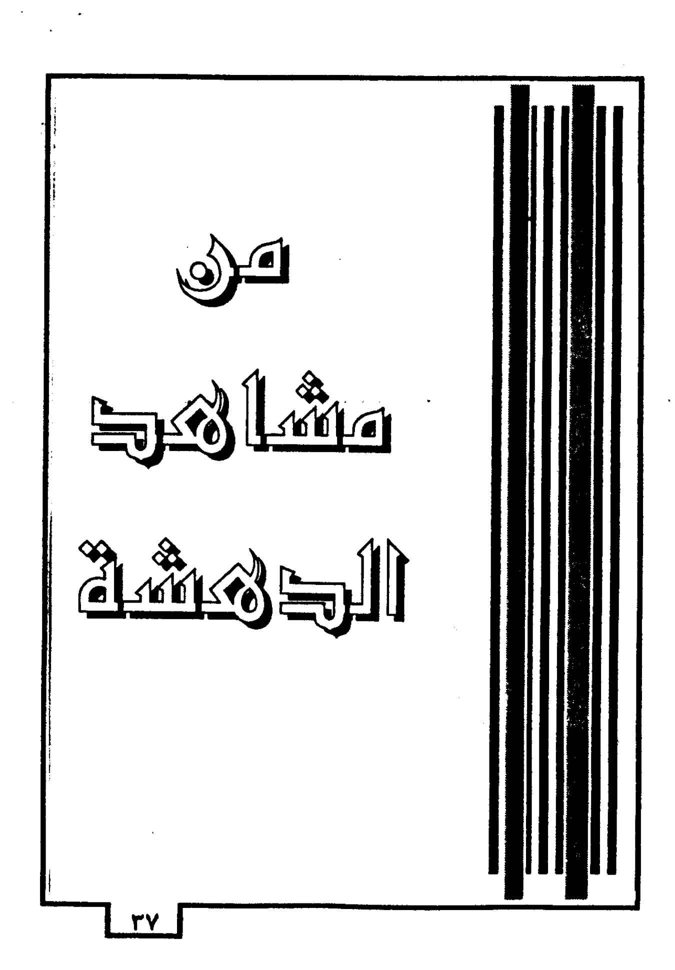
غشاش

عندما اكتشفوا أنه « غشاش » شكلوا لجنة لبحث المسألة ، وحددوا موعد الاجتماع ومكانه . وفى الموعد المحدد اجتمعت اللجنة واستفسرت فلما عرفت المسألة كاملة تحرجت، من ان تتخذ موقفا مضادا من الرجل الذى تكن له كل الاحترام .. ومن هنا قررت تشكيل لجنة تنبثق عنها لجنة لبحث تفاصيل المسألة .

وحان موعد الاجتماع والتف الأحباب يتباحثون ويتدارسون . وعندما عرف السبب وبطل العجب ، تحرّجت اللجنة من ان تحرج صاحبنا . فأصدرت قرارا بتشكيل لجنة تنبثق عن اللجنة المنبثقة عن اللجنة . وحددت موعدا للاجتماع ..

واجتمعت اللجنة الثالثة ، وجلس الاخوان يتباحثون ويتناقشون ويأكلون ويشربون ، وأمامهم الوثائق والمستندات الدالة على أن الرجل - ويا للأسف - يدخل فى طابور الغشاشين . نظر الاخوان بعضهم الى بعض نظرة حنان صادق، ورحمة خالصة.. ثم اصدروا القرار بدعوة «المذكور» لحضور اجتماع لجنة مصغرة ، تنبثق عن اللجنة الثالثة ، المنبثقة عن اللجنة الثانية المنبثقة عن اللجنة الاولى .. لبحث المسألة برّمتها!!

١٩٨١


من
مشاهد
الدهشة

صغير

أدار قرص التليفون على رقم لايعرفه .أجاب شخص لا يعرفه .

سأله عن اسمه فاستفسر منه الآخر بحدة عن اسمه وهدفه. لم يعجبه الصوت ولا طريقة السؤال فألقى بالسماعة جانبا وترك الخط الآخر معلقا !!

بعد نصف الساعة من الاستمتاع بإيذاء الرجل .. رفع السماعة ، وتناوله بالسب والشتائم ثم اغلق الخط ضاحكاً!!

أدار قرص التليفون وطلب رقما آخر لا يعرفه. اجابت على الخط الآخر سيدة لا يعرفها.. صوتها فيه قسوة ملحوظة . سألته بحدة : « افندم » قال : ياساتر . أغلق الخط فى وجهها. شعر أنه احتقرها كما يجب.رفع السماعة وأدار القرص وطلب رقما ثالثا. ردت عليه فتاة حلوة الصوت فسألها عن اسمها. وظل يلاطفها ... فأغلقت الخط فى وجهه !

ظل رافعا السماعة يضعها على أذنيه بين حين وآخر فلا من مجيب . أغلق الخط ولعن المغرورات ، وفكر فى أن يطلبها مرة أخرى ، ولكنه لم يتذكر الرقم .

طلب رقما رابعا ، ووضع السماعة على أذنه فجاءه على الخط

الآخر صوت طفل صغير .. أخذ يتسلى معه فيسأله عن أمه وأخوته وبيته ومدرسته .. ويبدو أن الطفل شاركه الرغبة فى التسلية .. فأخذ يستفسر منه عن اسمه ورقم تليفونه ومكان اقامته والمدرسة التي تعلم بها ومكان عمله وطوله وشكله ولون زيه ، وآخر فيلم شاهده .. سأله : أين أختك ؟ فعاجله الطفل بالسؤال : هل لك سيارة ؟ ماهى ماركتها ؟ سأله : هل لك أخت ؟ فلم يسمعه الطفل وظل يلاحقه بالأسئلة عن أصناف الطعام التى يحبها والأماكن التى يزورها وكيف يقضى يومه ومتى يصحو ومتى ينام وأين سيذهب اليوم؟ ومتى سيرجع ؟ .. أحس بالهزيمة لأول مرة في حياته؟؟

١٩٨١

المكترث

عاد إلى بيته ذات مساء فلم يجد أثاث بيته ولا زوجته ، ووجد ورقة صغيرة ملقاة على الأرض في إهمال. انحنى إلى الارض في هدوء وسحب الورقة وفتحها ببطء .. فقرأ كلمة واحدة مكتوبة : « ملل » !!

أحس بالإرهاق . ولكنه لم يجد شيئا يجلس عليه ، فاستند إلى الحائط وتساءل فى دهشة : ماذا حدث؟ وقع بصره على حائط الغرفة، وهو يتأمل مساحات الفراغ التي اكتست ببعض الأوساخ المتراكمة، والتى ظهرت من بينها تكوينات غريبة.. اقترب منها وحملق فيها فرأى نفس الكلمة .. « ملل » !!

احس بالتعب الشديد .. فجلس على الارض وأخذ يتأمل الورقة الصغيرة بين يديه . وبينما كان يفكر رأى على الارض بين قدميه عبر المساحات الترابية الواسعة .. نفس الكلمة مكررة عشرات المرات !! عقدت الدهشة لسانه ولكن الأمر لم يستغرق طويلا ..

فقد زم شفتيه .. ومضى !!

١٩٨٢



الأرنب

صاحبنا كان جم التواضع ، مهذب السلوك ، يصطبغ وجهه بحمرة الخجل إذا تحدث إلى رئيسه المباشر، وتملأ الابتسامة وجهه إذا ناقش زملاءه ، يهتز جسده لكل كلمة صادقة يقولها، ينفعل يتدفق حماسا وينفذ الأوامر فى قبول واخلاص .

ولكن حال الدنيا تغير .. بعد أن غضبت على الرئيس – الرئاسة الأعلى ، وأصبح فى موقف لايحسد عليه. أما صاحبنا فقد انتفخت أوداجه بعد أن انقلبت الموازين لصالحه، وأمسك بيده زمام الأمور .. فأصبح هو المتحكم فى كل كبيرة وصغيرة .. ينقل هذا ويعاقب ذاك ، ويرفت ذلك ، ويحاسب ويفتك وينهش !!

يوما عن يوم علا صوته .. فأصبح يملأ الدنيا صياحا إذا تحدث ، ويهز أركان المكاتب الصغيرة إذا غضب ، واكتسب صوته أبعادا جديدة – كأبعاد كرشه الذى انتفخ ، واختفت حمرة الخجل .. ليحل محلها احمرار عز وجاه وصحة .. أصبح الأرنب الصغير .. كالديك المنفوش .. وسط فراخ منكسرة !!

١٩٨٣

الأرجوحة

صديقي يملؤه الرعب ، ويحاصره الخوف .. فكل الذين يعملون معه .. جواسيس عليه ، وكل من يصادقه يسعى إلى تدميره ، تجاربه فى الحياة مريرة، وظروفه مؤلمة .. فقد قاسى وعانى وتعب .. طوحته الايام كالطاحونة ، ودوخته الليالى كالأرجوحة !

لم أندهش حين وصف نفسه بالأرجوحة الكهربائية .. قدماه معلقتان فى الهواء كرئتيه وصدره ، يداه تعملان آليا .. يسير فى أي اتجاه تحركه نحوه الرياح ! التجربة التى يخوضها .. لا يعرف لماذا يخوضها ولا إلى متى !!

ورغم ذلك لا يسأل نفسه !!

أقول لصديقى إن الخوف بداخلك فقط.. اطرحه عنك ، حاول أن تقترب من الناس وتعايشهم ، أقول لصديقى تنفس بعمق وعش الحياة بعمق دون خوف ودون ارق ..

صديقي لا يسمعنى ، فهو يتكلم ويتكلم ولا يتوقف ليستمع !!

أتحمس أكثر .. فأناقشه ، وتستغرقني مشاكله فأنسى كل مواعيدي !!

تمر فتاة حلوة فلا أجد صديقى بجانبى !!

١٩٨٣

موظف

يصحو من النوم بعد محاولات مستميتة من زوجته صامتا معقدا ما بين حاجبيه متجها إلى الحمام فى كسل . يرد باقتضاب على تحية الصباح من زوجته وكأنه يحذرها من فتح أى حديث !

– الفوطة؟ فوطة نظيفة...

.. صارخا من داخل الحمام .. فتهرع زوجته إلى الحجرة وتأتى اليه بفوطة نظيفة .

تسمعه « بيرطم » داخل الحمام :

– حتى « مكنة » الحلاقة مش هاين عليها تنظفها .. أعوذ بالله !

تقول فى همس : صبحنا وصبح الملك لله !

يخرج من الحمام وهو يتمتم بكلمات غاضبة، لاتفهمها متجها الى غرفة النوم :

– القمصان المكوية فين ؟

تهرع إليه عند الدولاب ، وتشير إلى القمصان ، يخلع الجلباب ويلقى به داخل الدولاب ويبحث عن قميص مناسب فيقلب الملابس المكوية كلها رأساعلى عقب ، بينما تقف زوجته صامتة حائرة .

يرتدي ملابسه فى سرعة ويخرج إلى الباب مهرولا وهو يسألها ويرد على سؤاله :

– لسه ما لبستيش ؟ طبعا! ابقى روحى فى تاكسى بلا وجع قلب ..!!

١٩٨١

ساخط

يقف بسيارته في مكان مخالف. يفتح الباب وينزل ويغلقه بعنف لاعنا ذلك الحر الشديد والأيام (السوداء) التى جاءت به من جنته الى هذا الجحيم !

يتجه الى سوق الخضر .. حيث يتراص الباعة فى صفين متجاورين . يقف عند أحد الباعة ، يتحسس البضاعة فى قرف شديد ثم يترك العربة ويتجه إلى أخرى مجاورة ، ثم يمضى وهو يتمتم بعبارات غاضبة.

يسأل البائع الثالث عن الاسعار، وعندما يرد عليه يلعن الاسعار والاسواق . التى تمتص كل الدخل وكل الوقت ثم يمضى .

يتجه إلى بائع رابع مجاور، ويسأل عن ثمن هذا وذاك فيجيب البائع فى برود متجنبا النظر إلى وجهه ، مشغولا بترتيب بضاعته.

ينادى :

– انت يا حيوان !

لا يفهم البائع ويمضى فى مهمته بحماس !

يفتح قاموسا من السباب فيلعن هؤلاء الباعة وجنسياتهم الغريبة التى لا تجيد التفاهم ، وأولئك الذين اعطوهم حقوقا وأماكن يستحقها غيرهم يتكلمون – على الأقل – لغتهم !

يتمتم حانقا :

– يحبـونهم لأنهـم لا يثيـرون المشـاكل . اما نحـن فمشـاكلنا لا تنتهى !

يمر أمام بائع عربى .. فيتجه إليه محييا وقد اشرق وجهه ، ويسأله عن الاسعار ثم يبدأ فى مناقشته وعرض الأسعار التى يراها مناسبـة .. وحين يعـترض البـائع يكيل إليـه السبـاب ، فيكادان يشتبكان بالأيدى لولا تدخل المارة !

يترك السـوق كله غاضبا لاعنا، ويتجـه الى سيارته وهو يقسم ألف يمين انه لن يشـتـرى فى هذا اليـوم « الأغـبـر » .. ولكنه عند سيارته يفاجأ برجال الشرطة يحررون له مخالفة .

يحـاول ان يحتج فيسـحبون رخصتـه بعد ان يلعنوا كل ابناء جنسيته !! يستسلم للأمر ويمضى ، وفى البيت « يهبد » زوجته علقـه سـاخنة لانهـا السبب فى كل مالاقـاه ومـا سـيلاقيـه فى هذا البلد .....!!

١٩٨١

صايم بالثلث

دخل مكتبه وهو مقطب الجبين ، حاد النظرات ، والقى تحية الصباح الى الزملاء فى فتور، جلس وفتح الصحيفة اليومية ، اقبل أحد أصحاب المصالح فأشار إليه الزملاء مازحين : خذ نصيبك ياعم ! نظر فى قرف الى الرجل الواقف امامه فى خشوع يبتسم ويحييه بلهجة عربية مكسرة .

فحص الرجل من اعلاه لأسفله بنظرة فاترة ، ثم اتجه بنظرة الى الصحيفة مرة اخرى .

جلس الرجل على الكرسى المجاور، ونظر اليه فى استعطاف محاولا التحدث معه ، دون جدوى !!

بعد نصف الساعة قام الرجل واقفا وهو يستأذنه فى الحديث ، ويفتح أمامه مجموعة من الاوراق .. فنظر اليها بعدم اكتراث قائلا : بعدين .. تعال بعدين !

لم يفهم الرجل مقصده ، فنظر إليه مستجديا نظرة لم تعجبه فقال له متهكما بكرة (تومورو) مش عارف اقولها لك بالهندى !

فهم الرجل فتساءل مندهشا : لماذا ؟! أجابه بحدة : صايم .. فيه صيام .. تعبان ! .

فتح الرجل فمه مندهشا وسأله متعجباً: بكرة ما في صيام ؟!

انقلبت الدنيا، وأسرع الزملاء يحجزون زميلهم الذى اندفع كالبركان نحو الرجل :

– امش ياابن الـ ..... ما تضيعش صيامى !!

١٩٨١

قائمة الطلبات !

طلبت منه زوجته أن يتجه الى السوق بعد انتهاء العمل ، وكتبت له قائمة تضم أصنافا من الخضروات والبقالة ، والحت عليه ألا ينسى مثـــل كل مرة :

– البيت « فاضى » وان تجد ما تاكله انت وأولادك !

وعدها خيرا وظل طول اليوم يذكر نفسه ، ويلح عليها ! وحين انتهى العمل اتجه إلى السوق ، ودخل أحد محال الخضروات والفاكهة واشترى كثيرا ، وخرج سعيدا حاملا صناديق الفاكهة من كل صنف ولون .

عاد إلى البيت فبدأت زوجته فى مراجعة المشتروات ثم سألته .

– اين الأشياء التى كتبتها لك فى القائمة ؟!

نظر اليها مبهورا وسألها :

– ألا يكفيك كل ذلك ؟!

صرخت فى وجهه :

– ألم تنظر فى الورقة التى فى جيبك ؟ ألم أقل كف عن شراء الفاكهة ؟ فالبيت (مليان) بها ؟!! ألم أطلب منك شراء خضار وبقالة ؟ إنك لم تحضر صنفا واحدا مما طلبت !! إنك .. وإنك ..

ولم يسمع بقية كلامها ، فقد دخل حجرته بهدوء وأغلق بابها ، وانزلق تحت الغطاء !

١٩٨١

الذى حاول أن يبتسم!

استيقظ من نومه على صياح زوجته مع الأولاد ! تساءل فى نفسه : ألا تصلح الوصاية إلا بعلو الصوت ؟! تثاءب فى كسل وتوجه إلى الحمام ليغتسل ، وخرج ليجد الشاى فى انتظاره « .. إنها تعرف جيدا اننى استيقظ على هذا الصوت ، ولكنها لا تعرف تأثيره .. »

فتح باب الشقة ليتناول الصحيفة اليومية تصفح العناوين في قرف ، قلب الصفحات ليقرأ حكمة اليوم « تفاءلوا بالخير تجدوه » حدث نفسه : اننى اتفاءل بالخير ، ورغم ذلك لا أجده »

ابتسم فى سخرية « ان مصيبتنا هى اخفاء الحقائق !! » هيه ..

قالها بمرارة ، ثم القى بالجريدة جانبا ، وقع بصره على الحكمة التى قرأها منذ قليل . حاول ان يبدأ يومه مبتسما ، وان يتفاءل بالخير لعله يجده !!

١٩٨١

زيارة عابرة

ذهبت إلى طبيب صديق ، مرافقه لابنها الذى يشكو من تعب بسيط . كشف على صغيرها وكتب له بعض الادوية ، ودار بينهما حوار سريع شكت له خلاله من عارض طفيف يؤرقها ! سألها عن الأعراض التى تشكو منها ، ثم كشف عليها وكتب لها بعض الادوية وطلب منها اجراء بعض التحاليل .

وبعد أن ظهرت النتائج نظر إليها بدهشة ، وطلب منها اجراء بعض الاشعة وكتب لها مزيدا من الأدوية !! أصابها الذعر وأحست بألم شديد .

تحاملت على نفسها واجرت الاشعة . وحين رآها الطبيب تساءل مندهشا : كيف لا ارى ما توقعت ؟! اريد مزيدا من الاشعة والتحاليل!! . اطرقت برأسها فى صمت ووجل .

سألها بعض الاسئلة ثم كشف عليها مرة ثانية ثم كتب لها ادوية كثيرة ونصحها بعدم الحركة .

صرفت الادوية الكثيرة من صيدلية المستشفى ووضعتها كلها فى كيس كبير وهى تتعثر فى خطواتها وتتحامل على نفسها ..

فى الطريق فكرت وفكرت ، ثم اخرجت جميع الأدوية بلا تراجع ، والقت بها من نافذة السيارة !!

١٩٨١

الصحاب

لم يعترضوا على اخذه

ولكنهم نظروا – بعضهم إلى بعض فى دهشة ، ثم مضوا لحال سبيلهم.

وفى المساء

التقوا كعادتهم كل يوم

وتحادثوا كثيرا .

وتجادلوا كثيرا .

فى كثير من الامور الثقافية .

ومن بين ما ثرثروا فيه ..

حكاية صديقهم الذى جاء الرجال صباحا

واصطحبوه !!

١٩٨٢

قصار النظر

كنا ننظر إليهم دائما ، وكأنهم نوع فريد من البشر ، في مجتمع تباعد فيه الاصدقاء وازدادت الهوة بين المعارف .. تآلف عجيب ، بينهم ، وصداقة مدهشة !!

كنا نراهم دائما معا .. في كل مكان .. يتصايحون ويتضاحكون ويمرحون ، لا يحملون للدنيا همّا ، ويشاركون بعضهم بعضا تلك التفاصيل التي تبدأ بدقائق الحياة اليومية وتنتهي بالأحلام والرؤى !

كانوا أربعة .. أحدهم رسام والثاني شاعر والثالث موسيقى والرابع مطرب ، وكلهم موظفون في مصالح حكومية كنا نحسدهم دائما على ذلك التآلف وتلك المودة .

ذات يوم سقط احدهم .. وقف الثلاثة يتفرجون في دهشة !!

قلنا لعله كان أسوأهم !

وقع الثاني .. فوقف الاثنان يتفرجان عليه! فقلنا كان اكثر سوءا من الأول !!

انهار الثالث .. فأسرع الرابع بالفرار بين دهشتنا وفجيعتنا !!

ادركنا في النهاية انهم جميعا ساقطون واننا كنا قصار النظر!!

١٩٨١

حذار !!

- انصحيني يا صديقتي ماذا أقول للبنت ؟ انني أعيش رعبا حقيقيا !

هل أقول لها انتبهي الى الذئاب التي تتربص بك ؟!

- لا .. لا .. إنه كـــلام تراه في حكايات « السندباد » على الشاشة الصغيرة ، وقد يرعبها ويرهبها هذا الكلام !! بدّلي كلام الاساطير هذا بغيره اكثر واقعية .

- إذن أقول لها كوني حريصة يا ابنتي ولا تلبي نداء من يتعرض لك ، أو يتحـرش بـك في الطـريق ، فـإنه قـد يفعل معك مثلمـا فعل الذئب البشري مع "ليلي"

- لا .. لا.. إنه كلام سيضعك في مـأزق حرج ، إذ انها سـوف تبادرك بعشرات الأسئلة عن معنى الاغتيـال والاعتداء ، التي لن تستطيعي شرحها لها في هذه السن ، كما انه سيثير في نفسها الرعب والارتياب من كل مخلوق !!

جربي اسلوبا آخر اكثر قربا لعقلية طفل .

قولي مثلا انتبهي يا ابنتي ، ولا تستمعي لكلام الغرباء عن الحلوى أو تنقـادي لرغبـاتهم ، فهم قد يقتلـونك ويرمونك في علبة

« كارتون » مثلما فعلوا بـ « ليلى » - فهى بالطبع قد سمعت بالحادث !

- لا .. لا .. إن هذا الكلام سوف يرهب الطفلة من كل الناس ، ويملأ نفسها بالخوف، ويقتل فى نفسها حب الانسانية ، والمعانى النبيلة !

فلأجرب اسلوبا آخر .. أكون فيه أكثر حرصا على ابنتى . ما رأيك مثلا لو قلت لا تخرجى إلى الشارع وحدك أبدا ، ولا تغربى عن عيونى ، أبدا ، وإياك ان تفارقينى لحظة ، وإياك أن تفتحى باب البيت لأي طارق !! ولا تسبقيني بخطوات ونحن نسير فى الطريق ، ولا تنزلى من أتوبيس المدرسة إلا مع مجموعة من التلميذات فهذا كلام ستطيعه دون تفكير.. فوجئت بالصغيرة تقفز أمامنا فجأة:

- لماذا أفعل كل ذك يا أمي؟!

١٩٨١

عبدالعزيز يصل إلى أهله!!

انتظرت زوجة « عبدالعزيز » وأمه وأبوه أن يرسل إليهم الخطابات المعتادة، والنقود الشهرية اللازمة لنفقاتهم .

وانتظرت ابنته احدث صورة لأبيها فى تلك البلاد البعيدة....

طال الانتظار وطال القلق ..

ارسلوا اليه الخطابات والبرقيات ، سألوا عنه كل من عاد اخيرا من هناك - لا جواب يريح القلب ويزيل الهموم !!

أحضر زملاء « عبد العزيز » إليه فى سجنه عشرات الصحف ، وعشرات الخطابات والبرقيات من اهله.. وهو يترقب تنفيذ حكم الإعدام !!

التهم الخطابات ، ثم بدأ يتصفح الجرائد التى تحدثت عنه قرأ فى أسى :

طفلة عبد العزيز محمد .. السفاح الذى اغتصب الطفلة « ليلى » .. طفلة مثل كل الاطفال .. محبة لأبيها .. تراه مثلها الأعلى فى الحياة ، وتعرف أنه يعمل فى آخر الدنيا ليجلب لها الحلوى والهدايا.

- انسابت الدموع من عينيه..

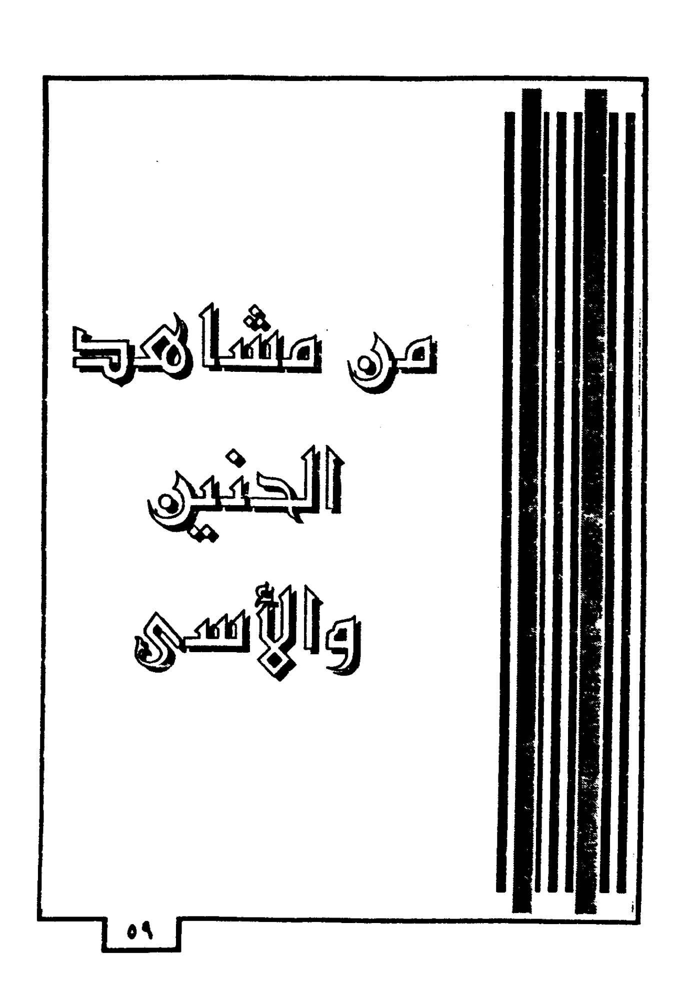
حاصرته الكلمات : « زوجة عبد العزيز لم تره منذ سبع سنوات ، تعد الايام فى انتظاره لكى تقدم له ما عندها ، وتجد عنده الحب والأمان – احس بالبرودة فانكمش على نفسه ..

التفت السطور على رقبته « عبد العزيز محمد » .. انسان مثل كل الناس ، يعمل ، ويحلم بالزوجة والاولاد ، والأهل والحياة الكريمة على أرض وطنه ، ولكنه فى لحظة ضعف غريبة نسى كل ذلك وتحول الى وحش كاسر بلا قلب أو ضمير – انفطر قلبه وصاح متأوها في حسرة ..

كانت آخر الكلمات التى وقعت عليها عيناه : « والد الطفلة » « ليلى » يعرض ان يتبنى طفلة عبد العزيز وهى فى بلدها وينفق على اسرته مدى الحياة .

خارت قواه وأخذ ينهنه كالاطفال !

١٩٨٤


من مشاهد
الحنين
والأسى

لحظة وداع !

عاتبت نفسى لأننى أطلقت لمشاعرى بعض الحرية فى التعبير .. لحظة وداع أطفالى ومغادرتهم إلى أرض الوطن فى أجازة قصيرة .. قلت إن من حقهم أن يغيروا هواء المكيفات الذى يتنفسونه خلال أشهر الصيف الثقيلة، والانطلاق فى طرقات بلدهم الحبيبة والتنفس من هوائها لبعض الوقت، وتوثيق الصلة بأرضها وناسها !

لمت نفسى لأننى لم أتحمل تشبث صغيرى بى وهو يسألنى أن أرافقه إلى بلدها، وسؤال ابنتى لماذا أظل هنا ولا أذهب !! وتأكيد أكبرهم بأنه سيرسل إلى عبر الهواء كل يوم قبلته الصباحية. تماسكت واستجمعت شجاعتى حتى دخل أطفالى صالة السفر.

عند خروجى من المطار فوجئت بأحد المودعين وقد كان منذ لحظات يوصل أطفاله وزوجته وقد تشبث به اصغرهم صارخا والأم تبذل كل محاولاتها لخلعه منه دون جدوى !! فوجئت بهذا الأب يقف فى ركن منعزل وقد إنهارت كل قواه وانتحب باكياً !!

توجهت إليه وأخذت أربت على كتفيه واداعبه ضاحكة مخففة. وحينما رفع عينيه الباكيتين إلى تصاعد نحيبنا معاً .. يهز أركان المطار !!

١٩٨٢

الخط المفقود !

انقطع الاتصال فجأة بينها وبينه ، قبل ان تسأله لماذا تغطىّ صوته حشرجة غريبة ! انفطر قلبها .. فهى تعرف جيدا صوت ولدها ولو عبر آلاف الاميال !

وقفت وسماعة التليفون فى يدها .. ترتج ما بين انصات وسؤال -

لم تسمع الصوت يجىء على الطرف الآخر فأخذت تصيح راجية من موظفى المكتب أن يعيدوا الخط المفقود !

أجابوا بأن الخط قد انقطع تماما بين البلدين وتعطل !

لم تستسلم للفكرة ، وظلت ممسكة بيديها سماعة التليفون ، فى إصرار وهى تصيح منادية اسمه ، ثم تنصت لعلها تسمع الإجابة !

الطرف الآخر على البعد لا يجيب !

أما هى فما زالت مصرة على أن تسأله،أصابها الفزع وهى تتخيله مريضا طريح الفراش ! فارتفع صوتها مناديا إياه فى تشبث !!

ظل موظفو المكتب يصيحون فى وجهها ويطالبونها بالانصراف !

وضعت سماعة التليفون فى أسى وجلست على الارض تنتظر..

١٩٨١

القرار

حين قرر في نفسه أن يكون صاحب الأمر والنهى ، والمتحكم الاول والأخيرفى داخله .. أحس بالراحة وبدأ المشوار في الطريق الذي حدده لنفسه .. بخطوات محسوبة .. تك .. تك .. كعقارب الساعة .. كلما وهن الصوت ملأها فسارت خطواتها المحددة.

أحس بالرضا عن نفسه فهو قد بدأ يفعل ما يريد ويفكر ويقرر بنفسه ولنفسه .

احس بالثقة وهو يتابع خطوات الذين يسيرون على دربه السابق وخيوط التبعية تغلف ملامحهم ! لم يملك إلا أن يشد أزر نفسه التي ترى بوضوح وتفعل بوضوح اكثر، كما لفحات الشمس .. توجع ولكنها تشيع الدفء فى كل مكان .

حين وصل إلى ذلك المنحنى « هناك »

كان عليه أن يصدر القرار- الامتداد ولكنه دون ان يدري .. توقف لحظات تساءل ماذا دهاه ؟ ،

ارتعد ! وجد نفسه عاجزاً عن التفكير؟!

لم يصدر القرار ومضى فى هدوء وخيوط الحزن تغلف ملامحه !

١٩٨١

الدوام

جلسا يتحدثان معا عن الغربة والوطن والحنين، وكلاهما يتكئ على كرسيه ويسند ذقنه إلى يديه وأمامهما كوبان من الشاى المضبوط .

اعتدل اولهما وهو يحكى عن ايام الصبا ، والجرى فى شوارع القرية حافى القدمين ، والاستحمام فى الترعة القريبة ، واشجار التوت التي طالما تسلقها مع الأصحاب ، وحقول الذرة الممتدة التي كان لا يشبع منها، والسهرات الحلوة على الدريس فوق اسطح المنازل مع الأهل والاصحاب .

اخذ الآخر يكمل الصور المتلاحقة .. ذكر اشجار الصفصاف على حافة الترعة وجلسات الشباب تحت ظلها لمشاهدة الحسان يغسلن الصحون والملابس ويتضاحكن فى خجل .. حين تلتقى عيونهن بالعيون الأخرى المتطفلة ..

استعاد صورة امه بردائها الاسود الدائم الحزن، وعيونها القلقة الراضية.. تنهد في عمق وهو يتذكر اخوته ومشاجراتهم حول كسرة خبز او مبلغ تافة من النقود ، ومداعباتهم ومشاكساتهم .. كم كان كل ذلك رائعا .

والآن .. انتفض فجأة حين نظر فى ساعته وتذكّر أنه قد نسى موعد الدّوام المسائي - الوردية - وأنه يمكن أن يفصل من عمله للتأخير !!

١٩٨٢

الوحدة

لم يستشعر الوحدة إلا حينما عانى مرضا ألزمه الفراش أياما لم يذق فيها طعم الراحة ولم يغسل وجهه أو يعرف شكل الطعام !

لم يطرق بابه إنسان ، ولم يسأل عنه صديق أقلقه غيابه !! ربما كانت الصدفة أو الانشغال بهموم الحياة والجرى وراء لقمة العيش فكلهم الآن اصبحوا يبحثون عن مزيد من الاعمال الإضافية لمواجهة اعباء المعيشة ، واحتمالات الطرد أو « التفنيش » - انهاء ... الخدمة !!..

ظل يفكر طوال هذه الأيام في مصيره مع الوحدة، وأوهام جديدة غير الطرد « والتفنيش » تدق بابه لم يكن يعرفها ولم يدر بذهنه قط. . أنه يمكن أن يموت هنا وحيدا بلا غطاء !!

ايام طويلة قضاها بلا راحة .. فهو مكدود هدّه الإعياء وأقعده المرض على سرير من الشوك.. لمح فيه عمره المنقضى .. وحيدا بعيدا عن الأهل والوطن تساءل : هل مات كل الاصدقاء وسافر كل الزملاء ؟!

لم يجد اجابة لسؤاله .

اخذ (دوشا) باردا ، وفتح جميع النوافذ وأدار جهاز التليفزيون على آخره ، وفتح الراديو ايضا ، ثم أدار شريطا للكاسيت على جهاز آخر .. فتجمع الجيران والتمّ الناس !!

١٩٨٣

صلاة

حين عدت في المساء ، ونظرت في وجهك الحبيب .. أعجزني الخوف واغرقني الصمت .. عيناك غائرتان وأنفاسك تتلاحق ، ويداك ترتعشان ووجهك ضامرمتعب !!

استعنت بالله ألا أفقد النطق واستجرت به ألا يقعدنى الخوف والقلق عن أن اسـألك فى رفق عما ألمّ بك ! لم يبد منك ما يريحنى – ولكننى احسست بحار انفاسك وسمعت خشخشة صدرك !! – أمريضة انت يا أمى ؟!

سألتك – فأنكرت وداريت عنى وجهك ولكنه. غلالة حزن سقطت رغما عنك فأبلغتنى !

اختنق صوتى وتلاحقت انفاسى ومرة اخرى استجرت بالرحمن ان ينجيك رحمة بى ورأفة

لمحت عينيك تسقطان ورأسك ينحنى كالصلاة ، فرجوتك ان تنامى حتى يأتى الصباح .

لم انم ليلى ورأسى يتآكل والافكار تتنازعنى والمشاعر تخنقني وتخيفنى .. فويلى إذا متّ هنا فى الغربة ، وقد حضرت لزيارة تثلج صدرى وتخفف عنى نار البعد عنك وعن الوطن !! كلما مرت ثوان اقبلت إليك أتسمعّ أنفاسك وأستمد منها القوة .

جاء الصبح ، ورأيت نور وجهك وضياء بسمتك ، فاستعدت روحى وغنيت كما لم أغنّ طوال عمرى .

١٩٨١



فجأة تذكر أن العمر يمضى وان ايامه تمر بلا معنى .. بين رتابة الاعتياد والإيقاع المنتظم !

تذكر ايامه الماضية وكم كانت ممتعة ، جميلة ، استمتع فيها بحلاوة العسل ، كما قاسى وتعذب .. تذكر ايام المجلة وايام « المقهى » والاصدقاء « الصعاليك » الذين لا يفارقونه ولا يفارقهم ، والأرصفة والشاى الأسود وقصائد الحب والثورة والمناضلات اللاتى ربطته بهن الصداقة والألفة .. عاد بذكرياته إلى بلدته البعيدة البعيدة .. البيت القديم والشارع الذى طالما سار فيه بأقدامه العارية، والذى نما وهو يقطعه ذهابا وإيابا مع الأصدقاء .. يحلمون بالغد المضيء ويتآلفون مع الاهل والجيران ...

تذكّر حجرات البيت وهي تُفتش ذات يوم شعرة، شعرة، وكتبه التي أخذوها وأوراقه التي بعثروها، وأمه وهي تنظر صامتة في حسرة، بينما يعترض الأب في يأس وهو يطلب إذن التفتيش.

صحا من ذكريات الصبا والشباب والحماس الدافق على صوت زوجته والأولاد... نظر إليهم بحنان، وأشفق عليهم من غربته واغترابه!!

١٩٨١

الإتجاه الصحيح

حاولت قدر إمكانها أن تهاجر الى الداخل، فهى بعيدة منذ زمن طويل .. نسيت خلاله ملامحها ، وذابت فى حلقات دائرية ترابية صفراء .. جعلتها مغمضة العينين طوال الطريق ..

حاولت ان تتذكر ملامحها البعيدة ولكنها عجزت عن استرجاعها أواستجماعها او حتى تبين بعض التفاصيل !!

حين أحست بالعجز..

استحلفت ارادتها على الرؤية واستجماع شتاتها المبعثر .

استطاعت بعد لأى أن تتبين تلك الملامح. احست بالالفة. استحضرت قوتها كلها مرة واحدة لكى تفتح عينيها وتتأمل جيدا .. احست باللاجدوى بعبثية السير فى ذلك الاتجاه استدارت بقوة ، وغيرت الاتجاه فأحست أنها لأول مرة تسير فى الاتجاه الصحيح .

١٩٨١

رقصات مجنونة !

حائر .. حائر .. معذب .. يبحث عنها فلا يجدها .. ينظر هنا، وهناك .. يتألم .. غريب ومغترب ضائع في بحر متلاطم الامواج .. تارة هنا وتارة هناك .. يستفيق من غفلة « الموت » على رعد وبرق .. يشعر بالرعب والخوف والبرد . يهم بالبحث فى الحوارى والاماكن الرطبة المظلمة .. يتعب ، يشعر بالصداع وآلام القدمين !!

يحاول أن يستريح فيجلس على شوك يدمى جسده كله !! يخاف على ملابسه من ان تتمزق وهو لا يملك غيرها ! .. يفتش عن « سيجارة » فلا يجد !! يشعل عودا من الثقاب ويتلذذ برؤية النار والدخان .. النار تتأجج فى داخله فيشرب ماء باردا .. يشعر بالصدأ يتخلل جسده وذرات الرمال تملأ حنجرته .. يحاول ان يتكلم فيجد صوته محشرجا يخرج ثقيلا .. يخشى ان تكون حشرجة الموت فيحاول أن يغنى .. يختنق الصوت .. يخاف اكثر فيقفز من مكانه واقفا ليرقص بجنون !!

١٩٨١

وحدة الضوء

أرتدى ثيابا ناصعة البياض وأسير في طرقات المدينة عارية القدمين .. أجرى بعيونى وراء السحاب وأتابع رذاذ النوافير فى الحدائق العامة ، وانتشى من نسماتها الندية وهى تلاطف وجهى .. أبحث في عيون الاطفال عن النبل والطهارة .. أفتش فى صدر امى فأتوه فى زحام الشوارع . أجلس على الرصيف لاريح جسدى المتعب ، يصيبنى الاعياء وأنا أتجنب اصطدام أحذية المارة بكفى !

تدمى راحتاي ولا اشعر بالألم فى اطرافى .. اغوص فى أعماقى فيجتاحنى يأس ادفعه بإصرار .. انهض من جلستى على الرصيف لأتابع رحلة السير .. تبهرنى الاضواء البعيدة .. فأهفو إليها .. اتجه إليها بناظرى وخطواتى .. يطول بى السير ولا اشعر بقرب الهدف ، ورغم ذلك امضى فى لهفة .. استحضر براءة الايام الماضية وادفن مرارتها اقفز نحو الزمن الآتى .. افتح عيونى عن آخرها واحملق في الاضواء البعيدة . المح فى ظلمة الليل بهاء عيون اطفالى وصدر امى وعطف ابى نقاء حبيبى فتدفعنى الرغبة الأبدية فى الخلاص .

أغوص فى داخلى .. اقترب منهم اكثر .. التصق بهم .. يلتقى شعاع الشمس مع نصاعة ثيابى فى ضوء واحد مكثف .. يغمرنى فاكبر واكبر ، ويكبر بداخلى الامل والحنين .. نصبح أنا والضوء واحداً .

١٩٨١